٦. السيطرة على مجرى الحديث

٧. تسجيل المقابلة بشكل صوتي او فيديوي او بشكل كتابي .

المطلب الرابع

الملاحظة

الملاحظة "*Observation*" بوصفها أداةً لجمع المعلومات والبيانات في البحث العلمي تتضمن مشاهدة موضوع معين على نحو هادف بموجب إجراءات منظمة يقوم بها الباحث لتحقيق افضل فهم لهذا الموضوع[١] .

فالملاحظة هي مراقبة ظاهرة معينة أو سلوك معين بغية تحليلها والربط بين أجزائها وصور الظواهر والسلوك الأخرى، ومن صور استخدام هذه الوسيلة في البحوث والدراسات القانونية الميدانية :قيام الباحث بملاحظة سلوك المسجونين، او ملاحظته لمدى التزام قادة المركبات بالإشارة الضوئية، او مراقبته لسلوك الموظفين والتزامهم بقوانين الوظيفة كتوقيتات الحضور والمغادرة، او ملاحظة سلوك المفرج عنهم شرطيا، او سلوك النساء المطلقات، المشاركة في الإنتخابات، وغيرها...[٢] .

ومع ان الملاحظة تعرف في اغالب بأنها "المشاهدة"، الا ان بعض الكُتاب في علم المناهج قد ذهبوا[٣] الى إن الملاحظة ليست هي "المشاهدة" إنما هي اوسع من

---

(١) ينظر مثلا : د. بشير الرشيدي ، مرجع سابق، ص ١٨٨.

(٢) ينظر مثلا : د. عمار عباس الحسيني ، مرجع سابق، ص ٦٨ .

(٣) ينظر مثلا : د. عقيل حسين عقيل ، مرجع سابق ، ص١٦٤. حيث يذهب الى أن الملاحظة هي ليست المشاهدة مع إنهما يتداخلان كثيرا، إلا ان الحديث عن الملاحظة لا يعني تطابقها مع ما تعنيه المشاهدة في الوقت الذي تشتمل فيه الملاحظة على المشاهدة بإعتبارها جزءا منها فالمشاهدة هي الوقوف عن كثب على الشيء المراد رؤيته لأنها مقتصرة على العين وتمكن الباحث من وصف ما يشاهده، والملاحظة هي الربط بين المشاهد والمسموع لأنها الأداة المستعملة لحاستي البصر والسمع، والعقل في وقت واحد، وهو المشاهدة في حد ذاتها عابرة أما الملاحظة فـ

ذلك، إذ ان الملاحظة تشمل كل ما يُدرَك بالحواس سواء بالسمع أو النظر . ومن جهةٍ أخرى فإذا كانت الملاحظة – في الغالب- تعتمد على ما تراه العين، فان ليس كل ما تراه تلك العين يعد صحيحا، إذ قد يكون الظاهر لا يعكس الباطن، فضلا عن إن الإعتماد على المشاهدة فقط في الدراسة العلمية مسألة غير يقينية . قال تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾[1] فمشاهدة السلوك بالعين تعكس حالة السكر ولكن الحقيقة ليست كذلك، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[2]، فمن خلال المشاهدة أعتقد أن القمر هو ربه لكبر حجمه، ولما غاب- خلافا لصفة الدوام والثبات المفروضة في الرب- تغيرت قناعته فأعتقد ان الشمس هي الرب لأنها أكبر، ولما غابت عرف إنها ليست الرب...، ما يدل على انه ليس كل ما يشاهده الإنسان يعكس الحقيقة[3] .

وتكتسب الملاحظة أهمية خاصة في البحث والدراسة من خلال :

١. فائدتها مع المفحوصين (المبحوثين)، الذين لا يستجيبون للإستبيان والمقابلة .
٢. فائدتها في متابعة التغيرات السلوكية ورصدها .
٣. إجراء الدراسات القانونية الميدانية والمسحية .
٤. التعرف عن كثب على مشكلات المفحوصين .

ومع ذلك قد يؤخذ على الملاحظة بعض العيوب، منها : انها تتطلب وقتاً طويلاً للحصول على المعلومات، فضلاً عن الخدعة التي تبديها حواس السمع

---

(١) ينظر: سورة الحج / الآية /٢ .

(٢) ينظر: سورة الأنعام / الآيات / ٧٧ - ٧٨ .

(٣) ينظر مثلا : د. عمار عباس الحسيني ، مرجع سابق، ص ٧٢ .

والنظر[1]، كما أنها لا تجدي نفعا في مراقبة السلوك البشري بتلقائية حينما يشعر الشخص أنه مراقب فيتصرف بتصنع، كما إن النتائج التي يبتغي الباحث الوصول إليها من الملاحظة قد لا تظهر في الوقت الذي أجريت فيه تلك الملاحظة، إنما تظهر في أوقات أخرى، كما لا تجدي الملاحظة نفعا مع المشكلات الخاصة كمشكلات الجنس أو الأسرة التي يصعب ملاحظتها، ومما يؤخذ على الملاحظة إن هنالك بعض العوامل التي قد تتداخل مع سلوك المفحوص كالعوامل الجغرافية أو البيئية أو الأصوات التي قد يضيع معها السلوك المراد مراقبته أو يصعب ملاحظته .

وتصنف طريقة الملاحظة الى عدة صور، أهمها: الملاحظة بالمشاركة والملاحظة بدون المشاركة .

فالملاحظة بالمشاركة : هي الملاحظة التي تتم من خلال قيام الباحث بدور إيجابي داخل الجماعة المبحوثة، فيعيش معهم ويتصرف كما يتصرفون بحيث يشعرهم انه واحدا منهم بغية الوقوف على سلوكهم بعفوية وتلقائية ودون تكلف أو تصنع من أجل الحصول على أفضل النتائج الممكنة، لهذا كان من الأفضل للباحث ان لا يكشف عن شخصيته البحثية حفاظا على تلك العفوية والتلقائية.

ومن أمثلة ذلك: ان يتعايش الباحث مع مجموعة من المحكومين بالسجن عن جرائم القتل أو المخدرات فيتعايش ويتفاعل معهم على انه محكوماً ومسجونا مثلهم ليقف على سلوكهم العفوي والحقيقي عن كثب.

---

(1) ومن أمثلة ذلك أن أحد الأساتذة في كلية الطب طلب من طلبته [illegible]